تطور فكرة الوحدة العالمية

بقلم فؤاد طرزي

في كل سنة تمر يبدولنا من خلال المظاهر ومن اتساع مدى الأحداث ان الانسانية تكاد تكون مجتمعاً واحداً . وهـذا يعني انه غـدا من الضروري ان يكون هناك نظام عالمي عام . فلقد أصبحت الكرة الأرضية بأسرها الآن مجتمعاً اقتصادياً واحداً . ولكي تُستغل مصادرها الطبيعية استغلالاً كاملاً يجب ان يعين لها اتجاه عام . فان هذه القوى المتزايدة، وهذه الآفاق المتسعة التي حققتها الاكتشافات غدت بسبب توجه الجهود البشرية المبذولة في هذا النظام الذي يجمع رقعاً صغيرة منفصلة وإدارات متنازعة متخاصمة – عناصر خطرة مدمرة. فالمؤسسات المالية والنقدية التي باتت مصالح عالمية يجب ، لكي تعالج علاجاً ناجحاً ، ان تسير وفق منهج عالمي . وان الأمراض المعدية المنتشرة وازدياد هجرات السكان اصبحت كما هو واضح مشاكل كبرى تتطلب حلولاً عالمية حكيمة . وان القوى الجبارة المتزايدة والفعاليات الانسانيـة المتكاثرة جعلت الحرب من اكثر الوسائل إنتاجاً للفوضى والخراب كما انها اصبحت غير ذات فائدة حتى كطريقة سيئة لحل المشاكل بين الحكومات والشعوب .

فكل هذه الأمور تدعو بقوة لاحلال سلطات وقيادات اوسع سلطاناً واوسع شمولاً من أية حكومة موجـودة الى الآن . ولكن هذا لا يعني أن حل هـذه المشاكل يكون في قيام حكومة عليا فوق الحكومـات تتولى السلطة بالقوة او باتحاد الحكومات الموجودة . فبالقياس الى الأنظمة الحاليـة يفكر الناس في برلمان يضم نواباً يمثلون المجتمع البشري ، او في كونغرس عالمي ، وفي رئيس جمهورية او امبراطور للكرة الأرضية ، إذ ان أولى الانعكاسات الطبيعيـة التي تنعكس في عقولنا تتجه الى هذه النتيجة . إلا ان البحوث والتجارب طوال نصف قرن ضجّ بالافتراضات والمحاولات لا تشجع بصورة تامة على الاعتقاد بهذه الفكرة الأولى الواضحة . فالفكرة العالمية لا تتضح ولا تطبق إلا باقرار عدد من الهيئات والتنظيمات الخاصة في شكل اتحادات وقوى عالمية تمثل فيها الحكومات الموجودة لادارة الشؤون العامة وتعين داخلها سلطات مسؤولة عن إدارة الثروة الطبيعية وتكون من مبادئها العدالة في شروط العمـل وتثبيت دعائم السلم العالمي وصهر الشعوب العالمية في مستوى واحد .

فالعالم يجب ان يدرك ان جميع مصالحه العامة يجب ان تدار كمشروع واحد لأنه الآن لا يزال فاشلاً في إدراك وجود حكومة عالمية . ولكن قبل ان نصل الى تحقيق هذه الوحـدة الانسانية وقبل ان نضع هذه التنظيمات الدولية فوق شكوك العصبيات الوطنية وعواطف الحقـد والحسد والبغض ، من الضروري ان تمثل فكرة الوحدة الانسانية العقل البشري العام وتتملكه ، وان تصبح الفكرة الداعية الى ان تكون الانسانيـة كأسرة واحـدة رسالة التعليم والثقافة العالميتين . وفي داخـل حدود الدول وخارجها ستكافح روح الديانات العالمية الكبرى لتثبيت فكرة الأخوة الانسانية الشاملة وتوسيعهـا . ولكن الاحقاد والضغائن والعصبيات القبلية والاحتكاكات القوميـة والجنسية تعوق – وهي تعوق بنجاح – الآراء التي تنظر الى آفاق رحبة وتقف في وجه البواعث الكريمة التي تريـد ان تجعل من كل إنسان خادماً للانسانية .

ان فكرة الاخوة الانسانية تكافح الآن لتسيطر عـلى الروح الانساني كفاحاً يشبه ذلك الكفاح الذي عانتـه الفكرة المسيحية في محاولاتها للسيطرة على الروح الاوروبي في وسـط فوضى واضطراب القرنين السادس والسابع بعـد عصر المسيح، ويشبه ايضاً الكفاح الذي عانته الفكرة الاسلامية للتغلب على الروح الجاهلي في الجزيرة العربية . ان انجاح مثل هذه الافكار يجب ان يكون قبـلة جهاد المؤسسات العالمية الـتي ينبغي ان تكرس جهودها وتضاعف اعمالها لبلوغ هذه الاهـداف . ولا يوجد اي كاتب يستطيع ان يتنبأ بمدى النجاح الذي سيلاقيـه مثل هذا العمل وما هي المشقات المعدة له ، فالمسائل الاجتماعية والاقتصادية تبدو متلازمة ومرتبطة بالمسألة العالمية ، وان الحل المقدر لكل حالة يمكن ان يتوسل اليـه الانسان بالروح التي تبث التضحية والتي تستطيع وحدها ان تفتـح الطريق وتلهم القلب الانساني ، إذ أن الريبة والجموح والاثرة التي تلازم الامم تمثل الريبة والجموح والاثرة التي تلازم الفرد المالك والفرد العامل وتدفعه الى الوقوف بها في وجه المصلحة العامـة ، فان التطرف

• في فسح المجال للتملك الفردي ليس إلا جزءاً من جشع الامم والأباطرة. إنها منتجات نفس الميول الغريزية ونفس العادات والجهالات .

فالعالمية تعني اشتراكية القوميات وليس هناك من المشتغلين بهذه الامور من يشعر بان هذه الافكار غريبة على علم النفس اذ انه ليس من الميسور تطبيقها بالوسائل والتنظيمات التعليمية للوصول الى حل نهائي وحقيقي يقرر هذا التعاون البشري الذي يبدو لغزاً من الألغاز . وإن وضعنا بالنسبة لاقرار نظام سلمي حقيقي فعال للعالم كالوضع الذي وجد فيه الناس انفسهم في عام ١٨٢٠ عندما أرادوا ان يضعوا خطة لنظام القاطرة الكهربائية . ولكننا نعلم بان هذا الشيء عملي وانه قريب وفي متناول ايدينا ، ومع ذلك فليس هناك من يستطيع ان يجاوز حدود معرفته ، وليست هناك فكرة تقدر ان تتجاوز الفكرة الحديثة ، ولهذا فمن الصعب بالنسبة الينا ان نخمن وان نرى ونقرر كم من الأجيال الانسانية سيعيش في الحرب والفوضى والشقاء قبل ان يتحقق السلام الأعظم ، سلام في القلب وسلام في العالم . ذلك السلام الذي ظل التاريخ يهدف اليه في جميع ادواره لينهي هذا الليل الذي ينشر الخراب ويعبث بالحياة .

إن حلولنا المقترحة لا تزال غامضة غير واضحة يحيط بها الهوى ويلفها الشك ، وان المهمة العظيمة التي يقوم بها التطور العقلي لا تزال تتقدم ، ولا شك انها لا تزال غير كاملة ، ولكن إدراكاتنا تنمو بصورة أكثر وضوحاً وأكثر دقة ، ببطء وبسرعة . ولكن كما انها تنمو نمواً متزايداً فهي تقدم القوة للعقول ، وتجمع خيالات الانسان وان افتقارها الى التماسك في العصر الحديث يعزى الى افتقارها الى الامان والحق الصحيحين اللذين اسيء فهمهما بالنظر الى طغيان الفوضى الحالية عليها الآن . إلا انه بالدقة والاحكام والتحديد ستحصل النظرة الجديدة الى العالم على قوة ملزمة . وان المهمة العظيمة التي تتمثل في إعادة تنظيم برامج التعليم يجب ان تستهدي منطقياً وبالضرورة هذا الادراك الجديد للعالم.

بغداد **فؤاد طرزي المحامي**